

باسمك نحيا يا رزاق



يقول ا [تبارك وتعالى: (إِنَّ اللَّاهُ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) (الذاريات/ 58).

وأبدأ بالقول إنَّ الهدف من هذا المقال أن تثق ثقة شديدة بأنَّ الرزق بيد ا [، لذلك سنتفق على أمرين في نهاية هذا المقال: أوَّلاً أن لا نأكل مالاً حراماً، وثانياً أن لا نذل أنفسنا لأي مخلوق من أجل لقمة العيش، لأنَّ الرِّزق ضمنه الرِّزاق.

محاور المقال هي:

- المحور الأوَّل: معنى اسم ا [الرزاق.
- المحور الثاني: اسم ا [الرزاق في القرآن.
- المحور الثالث: اسم ا [الرزاق في الكون.
- المحور الرابع: هل الرزق مادي فقط.. مال فقط؟
- المحور الخامس: ماذا يريد منّا الرزاق؟

- معنى اسم ا [الرزاق:

الرزق في اللغة هو النصيب والقسمة. فما قسم لنا هو رزق. والرزاق هو خالق الأرزاق، والامتكفّل بإيصالها. فالكل يأخذ نصيبه من هذه الأرزاق.

لم يُذكر الرزاق في القرآن أبداً، بل ذُكر اسم الرزاق، فما الفرق بينهما؟ الرزاق تتضمن الشمول، فالجميع يصلهم الرزق: التقي والعاصي على حد سواء، المؤمن والكافر، والمسلم والمسيحي والبودي. ليس لكل البشر فقط، بل للكائنات جميعاً.

يقول اﷻ تبارك وتعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَيْنَا لَلَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ شَيْءٍ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (هود/ 6). أما سيدنا إبراهيم، فظن أن مَنْ يستحق الرزق هم المؤمنون فقط، فعندما دعا قال (ع): (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ اجْعَلْ لِلَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...) (البقرة/ 126)، فَرَدَّ عَلَيْهِ اﷻ الرزاق تبارك وتعالى أن الرزق للجميع في الدنيا، أما الحساب فهو يوم القيامة، فقال: (قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (البقرة/ 126). ففي الأثر أن دعا سيدنا إبراهيم أحد الأشخاص، فبدأ الرجل يأكل، فرآه سيدنا إبراهيم يسجد للنار، فقال له سيدنا إبراهيم: فُؤم، لا تجلس على مائدتي كافر. فأوحى إليه اﷻ تبارك وتعالى: يا إبراهيم مللت من إطعامه ساعة وأنا أصبر عليه وأرزقه وأطعمه سبعين عاماً.

- اسم اﷻ الرزاق في القرآن:

يقول اﷻ تبارك وتعالى بعد خلق الأرض: (قُلْ أَتُنبِّئُكُمْ لَتَنكَفُرُنَّ بِمَا لَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنَ وَتَتَجَعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَادًا وَخَيْبًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكْنَا فِيهَا وَقَدَّرْنَا فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلْمُسَلِّينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) (فصلت/ 9-11). ومعنى "قدر فيها أقواتها"، أي كتب اﷻ تبارك وتعالى الأرزاق كمقدار كل ما تحتاج إليه الأرض من ماء الزرع. هذه الآية دليل يُطمئن العبد على رزقه. يقول اﷻ تبارك وتعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يَرْزُقْكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتْكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ...) (الروم/ 40)، فاستعمل اﷻ تبارك وتعالى فعل "رزقكم" بالماضي، أي أنَّهُ بالفعل تم تقدير الرزق. يقول النبي (ص): "إنَّ أهداكم يُجمع خلقُهُ في بطن أمه أربعين يوماً نطفة؛ ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمَرُ بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد.." (رواه البخاري ومسلم).

اسمع قول اﷻ تبارك وتعالى: (وَ فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِزْنَهُ لِحَقِّ مِثْلٍ مَا أَنْزَلْنَاكُمْ تَنْطِقُونَ) (الذاريات/ 22-23). فالرزق مكتوب لكل كائن حي، فنزلت هذه الآية على جزئين: الجزء الأول (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ)، فلما سمعها الأعرابي قال: صدق □. ومن ثم عاد الأعرابي نفسه بعد شهور عديدة، فكان حينها قد نزل الجزء الثاني من الآية وهو (فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِزْنَهُ لِحَقِّ مِثْلٍ مَا أَنْزَلْنَاكُمْ تَنْطِقُونَ)، فبكى الأعرابي عندما سمعها وقال: ماذا فعلتم ليُقسم □ سبحانه وتعالى أن الرزق حق؟ فنحنُ صدقناه من الآية الأولى.

يقول □ تبارك وتعالى: (أَمْ مَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ) (الملك/ 21). فمن تَذَلَّلْ لغير □، وهذا على خلاف طلب الحاجات بعزة نفس، فيقول (ص): "اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس، فإن الأمور تجري بالمقادير". ويقول □ تبارك وتعالى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (يونس/ 31). فكما سبحانه وتعالى لا شريك له في ملكه، فسبحانه لا شريك له في رزقه. ويتزامن اسم □ الرزاق مع اسم □ الخالق، فيقول □ تبارك وتعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَرِزْقَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (الروم/ 40). ويقول □ سبحانه وتعالى: (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ دُونِهِ...) (فاطر/ 3).

- اسم □ الرزاق في الكون:

كنت قد ذكرت سابقاً، أن □ تبارك وتعالى يُعَرِّفنا إلى اسمه بطريقتين: بكتاب يُقرأ وهو القرآن الكريم، أو بكتاب يُنظر وهو صفحة الكون، وهو معجزة من □ تعالى. فقد عرفنا اسم □ الرزاق من القرآن، والآن سنعرفه من الكون، كي لا نتذلل لأحد. سأبدأ لكم بمثال قد مرَّ علينا كثيراً في المدرسة، ولكننا لم نفهمه أو نربطه باسم □ الرزاق. فلو فهمناه باسم □ الرزاق لاستحال أكل الحرام. والمثال هو دورة الماء. سنفهم الآن دورة الماء باسم □ الرزاق. فالماء سر الحياة. يقول □ تبارك وتعالى: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) (الأنبياء/ 30). بدايةً، إن اتَّساع مساحة البحار بفضل اسم □ الرزاق، لأنَّه عصب الحياة ونحتاج إليها كثيراً، فتكون نسبة الماء 71 في المئة من مساحة الأرض، ثم يأمر الرزاق البحار أن تكون مالحة كي لا تأسن وتظل سالحة، ومن ثم يأمر □ الرزاق الشمس أن تُسخن هذه البحار، فالشمس تُسخن 16 مليون طن في الثانية، وتُسخن في السنة 5050 تريليون طن ماء تتبخَّر من البحار كي تُروى الكائنات الحية. فيربط □ تبارك وتعالى الرزاق بين الشمس التي تُسخن الماء ونزول الماء، فيقول □ تبارك وتعالى: (وَجَعَلْنَا سِرَّاجًا وَهَّاجًا * وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِثْرَاتٍ مَاءً ثَجَّاجًا) (النبأ/ 13-14). ثم يأتي دور الرياح لتحمل ما تبخر على سطح الماء إلى أعلى ليبرد، وتُنزل الهواء الجاف إلى أسفل. فيقول □ تبارك وتعالى: (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَدَسُّطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ...) (الروم/ 48).

فمن يقوم بذلك؟ إنَّه الرزاق.

ومن ثمَّ يأمر الرزاق السحاب بأن يقترب من بعضه البعض حتى يثقل، فيقول الرزاق تبارك وتعالى:

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّاهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ

رُكَّامًا) (النور/ 43)، ثمَّ يأتي دور الجاذبية بجذب المياه إلى أسفل، ثمَّ ينزل الماء في المكان الذي حدده الرزاق تبارك وتعالى: (حَتَّى إِذَا أَقْلَبْتَ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِّنَاهُ لِيَلْدِي مَيِّتًا وَأَنْزَلْنَاهَا بِرِجْمِ السَّمَاءِ فَأَخْرِجْنَاهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ...) (الأعراف/ 57). فهذه مُعْجزة الرزاق في إنزال الماء.

يقول الرزاق تبارك وتعالى: (أَأَنْزَلْتُمْ أَنْزَلَ تُمْ مَوْهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ)* لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ) (الواقعة/ 70-69). لذلك، كان النبي (ص)، عندما ينزل المطر يُعرض نفسه له ويمسح به وجهه وجسده، لأنَّها معجزة من الرزاق. ولذلك يقول النبي أن دعاء المطر مُستجاب. وكان النبي (ص)، عندما يشرب الماء يقول: "الحمد الرزاق الذي جعله عذاباً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أجاباً بمعاصينا". فكل نقطة ماء دليل حي على اسم الرزاق، وتستمر المعجزة بأن كمية الماء التي تتبخر كل سنة هي نفسها الكمية التي تنزل على الأرض. كم أنفق الرزاق تبارك وتعالى على الأرض؟

يقول الرزاق تبارك وتعالى في الحديث القدسي: "خلقت السماوات والأرض ولم أعي بخلقهن"، أفيدُ عيني رغيث أسوقه إلى عيدي؟ عيدي.. لي عليك فريضة ولك عليّ رزق فإن خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك..".

عرفت كل الكائنات الرزاق، من طير وسمك، إلا أنت أيها الإنسان، أيها الخليفة، أيها المسلم، أيها المؤمن، فماذا يتفوق له يوم القيامة عندما يسألك عن أكل الماء الحرام وعن التذلل لغير الرزاق؟ فماذا سترد على الرزاق تبارك وتعالى؟

- هل الرزق مادي فقط.. مال فقط؟

ليس كل الرزق مالاً فقط. فأشعة الشمس رزق، والجار الصالح رزق، والروح التي في جسدك هي رزق، والزوجة الصالحة رزق، والدعاء رزق، وركعتان في آخر الليل رزق.

فأيهما أحب إليك؟ رزق الجسد (رزق مادي) أم رزق الروح؟

إنَّ الرزاق عندما يغضب على عبد يمنع عنه الرزق، يقول النبي: "إنَّ العبد ليُحرم الرزق بالذنوب التي يصيبه". ففي الأثر أن رجلاً قد ارتكب ذنباً، فظن أن الرزاق لم يحرمه الرزق، فأوحى إليه الرزاق أنَّهُ قد عاقبه، فقال له: بلى قد عاقبتك، ألم أحرمتك لذة مُناجاتي؟ فأرزاق الأرواح أحلى بكثير من أرزاق الأجساد.

- ماذا يريد منا الرزاق؟

1- إيّاك أن تأكل الحرام، لكي يبقى الأمل في قلوبنا. فأكل الحرام يحرمننا استجابة الدعاء، ثمّ ذكر النبي (ص): "الرجل يطيل السفر، يقول يا رب يا رب، ومَطعمه حرام، ومَشربه حرام، وغُذّي من حرام، فأنسى يستجاب له؟".

2- السعي: لكي تحصل على الرزق المكتوب لك يطلب منك الرزاق أن تسعى، لأنّه يغضب عليك إن لم تفعل. وهنا أشير إلى السعي الذي يقوم به المعتمر والحاج. فأصل السعي، ورمزه السيدة هاجر التي كانت تبحث عن شيء دنيوي، تبحث لابنها.. لسيدنا إسماعيل عن ماء، فأصبح السعي عبادة، لكي يذكرك بالسيدة هاجر التي سعت بالصفاء والمروة سبع مرات، الأمر الذي يرهق الشباب. ولكن، ماذا كانت نتيجة السعي؟ نزل جبريل وضرب بجناحه عند قادم إسماعيل، فخرج نبع ماء يشرب منه المسلمون منذ آلاف السنين وإلى الآن.

يقول الله تعالى: (وَمِمَّا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَطَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْمَةٌ أَمْمَةٌ أَمْمَةٌ) (الأنعام / 38)، أي لا تقولوا عن النحل والنمل هذه أمم حقيرة، ولكن تعلّموا منها. تعلموا من النحل النشاط والعمل الدؤوب. يُحكى في الأثر، أن أحد الأشخاص كان مسافراً في تجارته، فرأى طائراً كسيحاً لا يجد مَن يُطعمه، فقال عنه إنّه مسكين. وأثناء ذلك، جاء طائر صحيح، وأطعم الطائر الكسيح، فرجع هذا التاجر إلى بلده وقابل عالماً صديقاً له فقال له: لا داعي للسعي، فالرزاق موجود. وأخبره بقصة الطائر الصحيح والطائر الكسيح، فنظر إليه العالم وقال له: أَرْضيت أن تكون مكان الطائر الكسيح، ولم تَرْضَ أن تكون مكان الطائر المعطاء؟►